

زوجة عم موسى

لم يفتح لى عم موسى قلبه بالصدائة إلا بعد مرور أربع سنوات كاملة من التعامل معه ، ومحاولة التقرب منه . كان دكانه يطل على المناصية المتى أحب دائماً أن أقف عليها مستقبلاً أصدقائى، أو متطلعاً إلى ظهور حبيبتى المتى كانت تطل على فترات من المشرفة المواجهة للمناصية.

وفى البداية، كان عم موسى يضيق بى، وبأصدقائى بسبب ما نحدثه من ضجة كانت تعكر عليه صفو جلسته المهادئة فى الدكان. ومع أن المرائحة المنبعثة من الفسيخ والسردين والملوحة كانت زاعقة، إلا أنها كانت بالنسبة لنا شيئاً عادياً للغاية. والأمر الذى جعلنا نكسر عين عم موسى به ، أننا كنا فى كثير من الأحيان نطلب منه أن يهيئ لنا أكلة معتبرة، يقوم هو نفسه بإعدادها، وإضافة الزيت والمخل إليها، وأحضار الليمون والمخس والطماطم لتكسر حدتها. وكان الرجل يسمح لنا أحياناً باستخدام ركن من المحل لتتناول فيه تلك الوجبة الشهية، والمتى كنا نمنحه لقاءها أكثر مما تستحق .

ذات يوم كنت أقف وحدي أمام الدكان، وفجأة وجدت عم موسى يخرج لي الكرسي الخاص به، ويدعوني أن أجلس عليه. وترددت كثيراً، لكنه ألح. وعندما جلست ظل هو واقفاً، ينظر في وجهي، وينتظر أن أسأله :

— ما الخبير؟

وقبل أن أفعل ذلك قال :

— الجماعة عندي غضبانين.

كنت أعرف أنه متزوج من امرأة تصغره بعشرين سنة على الأقل، ورغم افتقادها لأي قدر من الجمال إلا أنها كانت لعوباً، تقتحم بعينها أي رجل، ولما تخجل من أن تلمسه بيديها، وتزيح الملابس عن كتفها وهي تمازحه. كنا جميعاً نعرف عنها ذلك، ونتجنب محادثتها قدر الإمكان، احتراماً لعم موسى، وتقديراً لشيخوخته المهادئة والمسامحة دائماً.

قلت له :

— خير يا عم موسى.. وهل هناك سبب يستحق؟

— أبداً والله يا أستاذ المسألة تتعلق دائماً بغسيل الجلابية.

دهشت، فاستمر قائلاً :

— أصل مهنتنا هذه تتطلب نظافة المهذمة باستمرار. وأنا اشتريت عليها ذلك قبل الزواج، لكنها عادت تقولى لى: أنا زهقت خلاص من غسيلك المقرض، ورائحتك المزفرة ؟

قلت له محاولاً التهذئة:

— وهل حدث ذلك منها مؤخراً، أم من مدة طويلة؟

— كانت تقول ذلك دائماً، لكنها فى الفترة الأخيرة أصبحت أكثر نرفزة، وأعلى صوتاً

.. فكرت قليلاً، ثم وجدتنى أقترح عليه شراء غسالة ملابس توفز عليه وعليها المقيام بهذا العمل. لكن الرجل نظر إلى بانكسار شديد وقال :

— أبداً يا أستاذ .. والله لو أحضرت لها مغسلة بكاملها لن يعجبها. الست ما دامت تزهبى بيق خلاص مفيش فايذة .

قلت له : يعنى إيه مفيش فايذة ؟!

قال :

— يعنى لابد من طلاقها . يمكن هى شايضة شوفة تانية. وربنا يسهل لكل حى.

وتركنى عمى موسى على الكرسي، ودخل المحل ينقل الماء المملح من بعض البراميل إلى الأخرى، وانهمك فى عمله على نحو لم يترك لى أى فرصة لمواصلة النقاش معه.

ظهرت حبيبتى فى المشرفة، فحاولت أن أنسى موضوع عم موسى، لكنه كان أقوى من أن أطرحه جانباً. ولمحت يديها تنشران قميصاً لأخيها الصغير، ووجهها يصدّء بابتسامة عذبة، ثم تختفى بسرعة خوفاً من أن يشاهدها أحد. قلت لنفسى:

— هل ستظل هذه المابتسامة طويلاً، أم أنها ستختفى كما اختفت ابتسامة زوجة عم موسى ؟ ومن يدرى ربما قبل عشرين سنة !؟